مدونات بحرينية

- أسماء المدونات البحرينية
- شهرية التدوين
- سطر خاص في زحام عام

إبان الحرب على العراق في العام 2002 ، ظهرت عدد من المدونات المؤيدة للحرب، أشهرها "إنستابوندت". وفي العام 2003 ظهرت أخرى مناوئة للحرب، قام عليها بعض مشاهير السياسية الأميركية من أمثال هوارد دين، للتعبير عن مواقفهم السياسية. حظيت هذه المدونات باهتمام عدد من وسائل الإعلام والمجلات الشهيرة مثل مجلة "فوربس"، التي غطتها في مقالات لها.

ظهرت في الفترة نفسها مدونات يكتبها عراقيون. يعيش بعضهم في العراق. يدونون الأيام الأخيرة لنظام صدام حسين، ويكتبون حياتهم في ظل الاجتياح الأميركي. اكتسبت بعض هذه المدونات شهرة واسعة، عُدَّ قراؤها بالملايين. طبعت مقالات مدونة أين رائد؟ (Where is Raed?) في كتاب.

في العام 2004 أصبحت المدونة ظاهرة عامة بانضمام كثير من مستخدمي الإنترنت إلى صفوف المدونين وقرائها، كما تناولتها الدوريات الصحافية [1].

ما المدونات؟ ما التدوين؟ من المدونون؟ ماذا يدونون؟ إلى أين تسير ظاهرة التدوين؟

تصوير: حسين المحروس

■ المدونات.. وجوه ليست في الصحف

المدوِّنون..

الفاتحون للغُرُفات.. الخارجون على كل ما تغرَّف

أكثر من 12 ألف مدونة يتم إنشاؤها يومياً. أي بمعدل مدونة لكل سبع ثوان. كلمة "weblogs" حديثة في العالم العربي. تتكون من جزئين: ويب (web) تشير إلى الانترنت، لوغ (log) تشير إلى التدوين. دمجت لتصبح "ويبلوغ"، ثم بلوغ (blog). عُرفت في العربية باسم المدونات.

استقطبت المدونات المثقفين والمهتمين والكتاب والأدباء والمفكرين والفنانين والمبدعين، كما استقطبت، بالقدر ذاته، الهواة والشباب والمراهقين والمبتدئين. فرضت المدونات وجودها ولفتت نظر الإعلام العربي والعالمي. الكاتب محمد حسنين هيكل يقول لاحدى القنوات الاخبارية «انا أجد شخصا يكتب باسم مستعار هو بهية، ولست أدر ي من هي لكني أطلب من مكتبي أن يعطوني مقالات بهية كلما تصدر، لأني أتابعها باحترام أكثر من أي صحافي في أي جريدة».

تأتي المدونة على شكل موقع شخصي ينشئه المدون بسهولة ومن دون تعقيدات تقنية أو فنية. لا يخضع إنشاء المدونات لاشتراطات شخصية أو مهنية أو أدبية أو قانونية أو رقابية. تخضع لاشتراطات المدوِّن وحده فقط. "إنهم لا يدينون بالفضل لأحد. ينشرون المعلومات. يشيرون إليها ويعلقون عليها وفقاً لمعاييرهم الخاصة المميزة" [2] .

المدونة جهة نشر كاملة؛ في مدونتك أنت المحرر وأنت رئيس التحرير. أنت المنفذ وأنت مدير التنفيذ. أنت الناشر وأنت مؤقت النشر وأنت اشتراطات النشر. أنت الكلمة وأنت مدقق الكلمة وأنت مراقب الكلمة. أنت سقف تدوينك. أنت حد حريتك.

المدونة شيئك الخاص الذي تحمله في داخلك. غرفتك. "كل إنسان يحمل في داخله غرفة" (كافكا). غرفة كل منا مليئة بالقصص والحكايات والمواقف والتصورات والرؤى والأحلام والأحكام والأوهام. في غرفتنا نعكف نبلور مفاهيمنا الخاصة لأنفسنا والعالم والإنسان. تتسع غرفتنا حين تتصل مع غرف الآخرين. حين تصير بلا سقف. حين تصير حوشاً يجمعنا، يفتحنا على الضوء. المدونة تفتح غرفتنا على غرفات الآخرين. تحميها من الضيق والانغلاق، تحميها من أن تبقى صندوقاً محكماً مظلماً.

أنفاس المدونين

الانسان متصل بطبعه. يريد الانسان ليعبُر بغرفته نحو غرف الآخرين. يريد أن يفتح مغاليقه على مغاليق الآخرين. يريد أن يهدم كل الحواجز والجدران والأسوار والأغلفة. أن يحرر داخل غرفته من التوحش والتبلد والانزواء. أن يجعل العالم مكاناً للفصح والفضح والكشف والاعتراف والمشاركة والقول والتداول والأخذ والعطاء والتبادل والتناول. لهذا كان الانسان كائنا مدوِّنا بطبعه. يدوّن ذاته الفردية (مشاعره، تصوراته، احتياجاته، احتجاجاته، اعتراضاته، تحليلاته، قراءاته، آراءه، آماله، رؤاه)، كما يدوّن ذاته المركّبة (وسطه، ثقافته، دينه، جماعته، مجتمعه، تراكماته، مرجعياته المعرفية، نظمه الفكرية).

المدونات اليوم، وأكثر من أي تدوين مضى، أتاحت للإنسان، أياً كان وكيفما كان، أن يتصرف في غرفته الانفرادية. أن يخلع سقفها. أن يقول فيها وفي الكون ما يشاء. "ليس من الواقعي أن نتوقع من كل مدون/مدونة أن تقدم صورة متوازنة للعالم، لكن من المنطقي جداً أن نتوقع منهم أن يتحدثوا عن مصادرهم وتحيزاتهم وسلوكهم" [3]، هنا تكمن قدرة الإنسان على التصرف؛ التصرّف بما هو قراءة وفهم وتحليل وتفسير وربط وتأويل وإقامة علاقات مختلفة بين الأشياء المختلفة. يتصرف الإنسان في العالم حين يعدد مصادره التي يخبر بها عن العالم. حين يمايز الأشياء ويفاضل بينها، حين يقدم حججه التي يقرأ بها تحيزاته للأشياء. حين يفسِّر سلوكاته ومواقفه وتصرفاته. حين يجعل من غرفته نافذة مفتوحة على العالم، حين يتيح للآخرين أن يقرءوها ويفهموها ويخترقوها ويختلفون معها ويتشاكلون معها ويتعددون فيها ويتسعون ويمرحون ويلعبون ويجدون فيها شيئاً من ذواتهم..

الكائن المدوِّن يمتلك القدرة على التصرّف في العالم الكبير بذاته الصغيرة. فالعالم الكبير مجموع تلك الذوات الصغيرة. و"الصورة المتوازنة" للعالم ليست ما تقدمه الذات المفردة وحدها. بل ما تقوله مجموع الذوات المختلفة من تصورات وإفهام. ما تعدّد به الذوات أنفاسها. ما تكاثر به تدويناتها. الذات المدوِّنة تتصرف في العالم من حيث غرفتها. من وراء أزرار "كيبوردها". قد لا نبالغ إذا ما قلنا إن الطريق إلى فهم العالم، هو طريق بعدد أنفاس المدونين. بعدد مدوناتهم التي يُحدثون منها أكثر من 12 ألف يومياً. يقع العالم في المسافة الافتراضية، بين مدونة هنا (في البحرين)، ومدونة أخرى في أقصى الطرف الآخر من الكرة الأرضية. يحضر العالم في المسافة بين المدونة والمدونة. بين الكلمة المدوَّنة والكلمة المدوَّنة الأخرى. بين الكائن المدوِّن وبين المدوِّن الآخر، فـ"الكلمات هي الكائنات" كما يقول محمود درويش. وبالكائنات يعرف العالم.

دوائر الماء

يصف جهاد الخازن المدونات "بما أن البلوغ عادة ما يكون مرتبطاً بغيره، فإن هناك نوعاً من الانتشار يشبه دوائر الماء بعد إلقاء حجر في وسطه" [4]. يقع العالم بين الدوائر التي تحدثها أحجار "المدونين" التي تخترق سطح ماء "العالم". كلما زاد عدد الأحجار المخترقة للسطح، كلما زادت دوائرها. بقدر ما تتلاقى هذه الدوائر أكثر وتتداخل وتتقاطع. بقدر ما يمكننا أن نفهم وجه العالم أكثر. صورة العالم مشكال [5] من الدوائر المتداخلة التي تحدثها المدونات. عدد لا نهاية له من اللوحات التي تتغير في كل ثانية.

يخترق المدونون سطح الأشياء كما يخترق الحجر سطح الماء. يحركون الماء الساكن والبليد والراكد. يثيرون دوائر لا تحصى من التساؤلات والإشكالات. يخترقون سقف غرفتهم فيصيرونها حوشاً، يخترقون سطح أحاديتهم فيحيلونه أرضاً كثيرة. يحيلون سطوح سلطاتهم (الدينية، السياسية، الثقافية، المعرفية) أرض تتخرقها الريح. تبعثرها في كل اتجاه، تثير غبارها على ضجيجها، تفتح خواءها على عروشها، تقلبها على عواهنها حتى تثبت الأرض أو تقوم الريح.

تحرك المدونات الدوائر المسكوت عنها. تخترق المساحات اللا مفكر فيها. تنشّط المهمل منها. تستحضر المغيَّب. تتذكر المنسي. يخجلها الاستهلاك السهل للعقل والحجج والمبررات. يخجلها التلقي المسطّح للأشياء. يخجلها المباح المتاح السهل من القول والفهم. ويثيرها الممتنع العصي المخبوء. "نخبركم أننا من أجل كل أهدافنا، سنفعل كلَّ ما هوَ مباحٌ بخجل متناهٍ، وكلَّ ما هو ممنوع بكثير من الجرأة..!" [6] .

هذه الجرأة كلفت المدون الإيراني مجتبى سامينياد، قضاء سنتين في السجن. لكن ذلك لم يمنع مدونته من أن تفوز في مسابقة "مراسلون بلا حدود" التي اختيرت كأفضل موقع "ويبلوغ" في إيران. الجرأة نفسها كلفت كلا من الأخوين محمد وهيثم القطيش إضافة إلى يحيى الأوس في سوريا، صدور أحكام بالسجن في حقهم، تتراوح بين سنتين وأربع سنوات، لنشرهم بعض التقارير الناقدة للحكومة إلكترونياً.

خرق الواحد

المدونة ابنة الشارع. تخرج المدوِّنة من الشارع لتعود إليه. تتسرَّب خارج غرفاته المغلقة. تسير بين دهاليزه المظلمة. تتحدث عن همومه وقضاياه وحوادثه ومشكلاته وحاجاته وآماله. تعلن عن فعله وردود فعله ومواقفه وآرائه، فتصير صحافته.

الشارع بما هو اجتماع إنساني يقوم بفعل التدوين، صار مصدراً للخبر لا وعاء له. تحول الشارع المدوَّن إلى ديوان رقابة إعلامية. صار جهاز رصد وتدقيق وفحص لكل ما يكتب وينشر. صار الإعلام يخشى فضح الشارع المدوَّن؛ بعد أن كان الشارع يخشى فضح الإعلام . "المدونون هم الخارجون في عالم الانترنت. قدرتهم على تنقية وإفشاء المعلومات لقطاع عريض من المتلقين، وموقعهم خارج نطاق الإعلام السائد من أهم نقاط قوتهم (...) المدونات أجبرت وسائل الإعلام على أن تكون حذرة جداً فيما تغطيه" [7].

في الولايات المتحدة الأميركية تقوم المدونات بمهاجمة الإعلام التقليدي وكشف ألاعيبه وزيفه. نجحت حملة تبنتها بعض المدونات على برنامج "ستون دقيقة" لشبكة "سي بي أس"، في التعجيل بتقاعد المذيع دان راذر واستقالات أخرى[8].

اخترقت المدونات بتعدد مصادرها سلطة المصدر الواحد، واخترقت بتعدد أصواتها ثقافة الصوت الواحد، واخترقت بتعدد مروياتها وهم الرواية الواحدة، والخبر الواحد والقراءة الواحدة والتحليل الواحد والتعليق الواحد. جعلت المدونات من كل هذه "الأحاديات" محل شك واختبار وفتحتها على تعدد الأقاويل. "أحاول كمدون أن أقدم رواية مواجهة لما هو سائد في الأخبار، فأنا أقدم تغطية للأخبار المهمة محاولاً تقديم مصادر تتعلق بتمكين الناس من الوصول لمعلومات أكثر" [9].

لم تعد الرواية الرسمية تشبع فضول إنسان عصر التدوين. لم يعد يحترم عقله من يسلّم برواية مصدرها وحيد، حتى وإن تعددت إصدارات هذا المصدر (صحفه، مطبوعاته، مواقعه). ما جعل المدونات البريطانية تنتشر بدرجة كبيرة بعد حوادث 11 سبتمبر/ ايلول 2001، عندما قامت حالة من عدم اليقين أدت إلى البحث عن مصادر للأخبار خارج الإعلام التقليدي.

المدوَّن عمل على خرق الرواية الأحادية وتعريتها وفضحها وكشف زيفها وتلاعباتها وأوهامها وخواءاتها. يفتح المدنون غرفهم وغرف ثقافتهم وغرف جماعتهم وغرف مجتمعاتهم وغرف مذاهبهم وغرف أديانهم. ويفضح المدونون غرف أنظمتهم وغرف سلطاتهم وغرف حكوماتهم وغرف حكامهم. إنهم الفاتحون للغرفات، الخارجون على كل ما تغرّف.

■ لم تعد الرواية الرسمية تشبع فضول إنسان عصر التدوين

هوامش

[1] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.
[2]، [3]، أخلاقيات التدوين، ربيكا بلود.
http://www.tadweenclub.com/forum/showthread.php?p=50
[4] ، [8] صحيفة الحياة، 3-1-2006
[5] المشكال Kaleidoscope أداة بصرية، تحتوي على قطع متحركة من الزجاج الملون، ما إن تتغير أوضاعها، حتى تعكس مجموعة لا نهاية لها من الأشكال الهندسية المتناسقة، المختلفة الألوان.
[6] فوضويات جادة عن التدوين، أحمد الشموتي
http://ma.poemeversion.com/?page_id=48
[7]، [9] المدونون العرب. المعارضة بصوت جديد
http://www.aljazeera.net/NR/exeres/E6A0A606-DDE9-49DB-820A-mth.8FAD9D2650E9

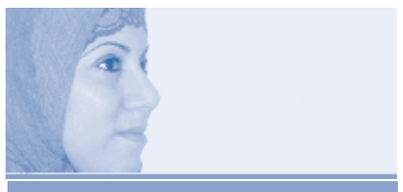

باسمة القصاب ■

المدونات الهاملة

هَمِلتُ، بكل ما يحمله الهمول من شرود وتبعثر وتشتت وانتشار، مع عالم المدونات العربية خصوصا، والبحرينية بشكل أخص. 50 مدونة بحرينية هاملة، كانت مرتعاً خصباً لشرودي وتبعثري وسرحاني.

لماذا هاملة؟

لأنها ضالة الجهة، فكل ما يستوقفها يصير جهتها. فهي جهات كثيرة.

لأنها غرفات صغيرة (الهمل البيت الصغير)، لكنها غرفات سقفها السماء.

لأنها لا تُساق. شاردة في غير احتباس أفق. ترعى نفسها بنفسها. لا تحكمها عصا راع.

لأنها المهمل من الكلام. خلاف الكلام المستعمل المجتر المبتذل المكرور. فهي هامش الكلام ومتبقيه. السماء تهمل مطراً لا يمنعه الغيم، والمدونات تهمل كلاماً لا يمنعه الرقيب.

لفتني وأنا أتبعثر بين همولاتها، أنها تنطق في رزانة لا في رطانة؛ رزانة التحليل والتفكيك والنبش والحفر والتحقيق والتدقيق، لا رطانة النقل والعرض والتصديق. لفتني شرودها في سعة فضاء لا في ضيق خزانة (خزانة فكرة أو خزانة انتماء أو خزانة مذهب أو خزانة تيار). لفتني إدارتها اختلافها بفضاء تعددي (همولي) لا أحادي (رعوي). تدير المدونات (التي لا راع لها) داخلها وخارجها واختلافها بمسؤولية لم أجدها في عدد كبير من المنتديات الالكترونية وبعض وسائل الإعلام (التي من فوقها راع ومن تحتها راع ومن بين جنبيها راع). أما الأجمل الذي أوقفني طويلاً، فهو حمل المدونات البحرينية الوطن هماً. في الوطن تشرد المدونات البحرينية ولا يعيها التعب. الوطن مرتعها الأكبر الذي تهمل فيه على رغم اختلاف انتماءاتها أو لا انتماءاتها. وعلى رغم اختلاف شموليتها. (38 مدونة من أصل 50 مدونة أتيح لي تصفحتها، طابعها العام سياسي وطني).

اعتبرهم البعض صغاراً عابثين، أشقياء متمردين. خارجين مارقين. لا يتقيدون بالقوانين المفروضة، ولا يلتزمون بالنظم الموضوعة. يخلقون من كل شيء شيئا. ويسبغون على كل اسم اسما. يغوصون في التفاصيل المهملة وغير المباحة. يغرقون في المساحات المسكوت عنها. يقصدونها بذاتها. يتعنون إليها. يجعلونها جرأة تُفصح. ولساناً لا يدركه الصباح ولا يخجله الخوض في الكلام غير المباح. إنهم الهاملون في الأرض.

واعتبرهم البعض صحافة شارعية تنافس الصحافة الرسمية. صحافة في غير هيئة رئيس تحرير. في غير أوراق صفراء. صحافة بلا راع. كبيرها كلمتها. وكلمتها مسؤوليتها. ومسؤوليتها أن تقول واقعها بعيونها الكثيرة. بوسائطها المتعددة. فقد سأم هؤلاء وسيط صحافة صفراء لا يعرف التعدد.

واعتبرهم البعض الآخر معارضة غير عنيفة. شارعها صفحاتها. عنفها كلمتها المشروعة. إنهم تفجر اللغة، لا تفجير السلندرات.

إنهم كل هذا، وربما أكثر، إنهم المدونيين أو الويبلوجز. مع المدونين البحرينيين بروفايل هذا الأسبوع..

basema.alqssab@alwaqt.net